

ثانياً: ولو استعمل لفظ " إذ " لكان مناسباً للمقام فإنه طرف يفيد منشأ الحكم الآتي ومبعثه، أو العلة التي روعيت فيه، كأنه قال: وما دمتم خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فخافوا كذلك ألا تقسطوا في النساء.

ثالثاً: إذا دخلت أداة الشرط على ماضٍ صيرته مستقبلاً، فقول القائل: إن أطعنتي كإفأتك؛ يفيد السامع أنه يريد منه الطاعة في المستقبل، لا أنه يحدثه عن طاعته الحاصلة فعلاً. هذا هو الأسلوب الطبيعي في جملة الشرط وأداتها لو كان المقام لهذا المعنى، وكذلك يقال في الجواب، فإن الأسلوب الطبيعي يقتضي أن يقال: وإذا كنتم تخافون... الخ. فلا تنكحوا من النساء عدداً ينتهي بكم إلى الجور في شأنهن، أو نحو ذلك التعبير، أما أن يقال: " فانكحوا ما طالب لكم " بصيغة الأمر الدالة على الرغبة في تحصيل مضمونه، وبلطف " ما طالب لكم " الدال على مراعاة رغبتهم في الجمع، لا على مدافعة هذه الرغبة كما يقتضيه مقام معالجة الجور؛ فذلك بعيد، والذوق الأبدى يشهد ببعده، وكتاب الله تعالى أجل وأعلى من أن يحمل على مثل هذا المعنى المتخاذل الذي لا يؤازره اللفظ ولا الأسلوب ولا واقع الحال.

* * *

ج - وقيل: كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى وأكل أموالهم، إيماناً وتصديقاً، فقال سبحانه: إن تخرجتم من ذلك؛ فكذلك تخرجوا من الزنا، وانكحوا المباح من واحدة إلى أربع. د - وقيل: المعنى وإن كنتم تخرجون من مؤاكلة اليتامى فتخرجوا من الجمع بين النساء وألا تعدلوا بين النساء، ولا تتزوجوا منهن إلا ما تأمنون معه الجور.

* * *

وهذان الوجهان أشد تهافتاً قبلهما كما هو واضح، ويبدو في تلك الوجوه كلها التحايل على الربط بين الشرط والجزاء على نحو لا يفيد القارئ اقتناعاً، ولا يبعث في نفسه ارتياحاً. وإذن فمن حقنا أن نميل إلى رفض هذه الأوجه كلها.